

هَذَا
التَّحْقِيقُ
تَارِيخُ

النِّسَاءِ

هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ
هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ
هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ

هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ
هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ

هَذَا
أَكْتُبُ تَارِيخَ النِّسَاءِ
تَارِيخُ
النِّسَاءِ
تَارِيخُ
النِّسَاءِ

تَارِيخُ
النِّسَاءِ
تَارِيخُ
النِّسَاءِ

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story

الطبعة الخامسة

نيسان (أبريل) ١٩٨٩

الرسوم الداخلية

الفنان ضياء العزاوي

مدخل ١

إقرأيني .. كي تُحسي . دائماً بالكبرياء
إقرأيني .. كلما فتشت في الصحراء عن قطرة ماء
إقرأيني .. كلما سدوا على العشاق أبواب الرجاء
أنا لا أكتبُ حُزنَ امرأةٍ واحدةٍ
إنني أكتبُ تاريخَ النساءِ ...

مدخل ٢

في البدء كان الشعرُ ، والنثرُ هو استثناء
في البدء كان البحرُ ، والبرُّ هو استثناء
في البدء كان النهْدُ ، والسفْحُ هو استثناء
في البدء كنتِ أنتِ .. ثم كانتِ النساءُ

مدخل ٣

كلُّ أنثى أحبُّ .. أولُ أنثى ..
ليس عندي في الحبِّ .. حب أخيرُ

ماذا ؟

أي انقلابٍ سوف يحدثُ في حياتي ؟
لو أعشقُ امرأةً تكونُ بمستواك .
أي انقلابٍ سوف يحدثُ – لو أحبكِ –
في نظامِ الكائناتِ ..
أي ارتجاجٍ في ضميرِ الكونِ ..
لو مرتُ على رأسي يداك ...
لو امرأةٌ مثلكِ تكونُ حبيبتي ..
عمرتُ للعشاق ألفَ مدينةٍ ..
و بسطتُ سلطاني
على كل الممالكِ و اللغاتِ ..
لو مثلكِ امرأةٌ .. تكون حبيبتي
ماذا سيحدث في الطبيعة من عجائب ..

ماذا سيحدث للبحار ، والمراكب ..
ماذا سيحدث للكواكب ؟
ماذا سيحدث للحضارة ..
للمدينة ، لو رأيت عينيك ، أو سمعت خطاك ..
ماذا سيحدث للفنون إذا تشكل ناهداك ..
ماذا سيحدث للثقافة كلها ؟
لو أعشق امرأة تكون بمستواك ..

أريدك أنثى ..

١

أريدك أنثى ..
ولا أدعي العلم في كيمياء النساء
ومن أين يأتي رحيق الأنوثة
وكيف تصيرُ الأطباءُ طباءُ
وكيف العصافيرُ تتقنُ فنَّ الغناء
أريدك أنثى ..
وأعرفُ أنَّ الخيارات ليست كثيرة
فقد أستطيع اكتشافَ جزيرة
وقد أستطيع العثورَ على لؤلؤه
ولكنَّ من ثامن المعجزاتِ ، اختراعَ امرأة ..

٢

أريدك أنثى ..
وأجهلُ كيف يُركَّبُ هذا العقارُ الخطيرُ
وأجهلُ كيف الفراشةُ تكتبُ شعراً ..
وكيف الأناملُ تقطرُ شهداً
وأجهلُ أيَّ بلادٍ يبيعون فيها الحريرُ
أريدك أنثى ..
بخطك هذا الصغيرِ .. الصغيرِ ..
ونهدك هذا المليء .. المضيء .. الجريء ..
العزير .. القدير ..

٣

أريدك أنثى ..
ولا أتدخل بين النبيذ وبين الذهب ..
وبين الكريستال .. والأقحوان
ولستُ أفرقُ بين بياضِ يديك
وبين مداساتِ هذا البيان ..
ويكفي حضورك كي لا يكون المكانُ
ويكفي مجيئك كي لا يجيء الزمانُ
وتكفي ابتسامةُ عينيك كي يبدأ المهرجانُ
فوجهك تأشيرتي لدخول بلاد الحنان ..

٤

أريدك أنثى
كما جاءَ في كتبِ الشعر منذُ أَلوفِ السنينِ
وما جاءَ في كتبِ العشقِ والعاشقينِ
وما جاءَ في كتبِ الماءِ .. والوردِ .. والياسمينِ
أريدكِ وادعةً كالحمامةِ ..
وصافيةً كمياهِ الغمامةِ ..
وشاردةً كالغزاله ،
ما بين نجدٍ .. وبين تهامةِ ..

٥

أريدكِ .. مثل النساء اللواتي
نراهنَّ في خالداتِ الصورِ
ومثل العذارى اللواتي
نراهن فوق سقوف الكنائسِ
يغسلن أثداءهنَّ بضوء القمرِ
أريدكِ أنثى .. ليخضرَ لونُ الشجرِ
ويأتي الغمامُ إلينا .. ويأتي المطرُ ..
أريدكِ أنثى ولا أدعيكِ لنفسِي
ولكنْ .. ليسعدَ كلُّ البشرِ ..

٦

أريدكِ أنثى
لتبقى الحياة على أرضنا ممكنة ..
وتبقى القصائد في عصرنا ممكنة ...
وتبقى الكواكبُ والأزمنةُ
وتبقى المراكبُ ، والبحرُ ، والأحرفُ الأبجديةُ
فما دمتِ أنثى فنحنُ بخيرٍ
وما دمتِ أنثى ..
فليس هنالك خوفٌ على المدينة

٧

أريدكِ أنثى
بزينتكِ المدرسيةُ
وأطواقكِ المعدنيةُ
وشعرٍ طويلٍ وراءك يجري كذيلِ الحصانِ

وحُمْرةِ ثَغْرِ خَفِيفَةٍ
ورشةِ عَطْرِ خَفِيفَةٍ
ولمسةِ كَحْلٍ خَفِيفَةٍ
ونهدِ أَرَبِيَّهٍ مِثْلَ الطَيُورِ الأَلِيفَةِ
وأمنحه التاجَ والصولجانَ ..

٨

أريدكِ أنثى ..
وهذا رجائي الوحيدُ إليكِ
وآخرُ أمنيّةٍ أتوجهُ فيها إلى شفتيكِ
أريدكِ باسمِ الطفولةِ أنثى ..
وباسمِ الرجولةِ أنثى ..
وباسمِ الأمومةِ أنثى ..
وباسمِ جميعِ المُغنينِ والشعراءِ
وباسمِ جميعِ الصحابةِ والأولياءِ
أريدكِ أنثى ..
فهل تقبلينَ الرجاءَ ؟

٩

أريدكِ أنثى اليدينِ
وأنثى بهسهسةِ القرطِ في الأذنينِ
وأنثى بصوتكِ .. أنثى بصمتكِ ..
أنثى بضعفكِ .. أنثى بخوفكِ
أنثى بطهركِ .. أنثى بمكركِ ..
أنثى بمشيتكِ الرائعةِ
وأنثى بسُلطنتكِ التاسعةِ ..
وأنثى أريدكِ ، من قمةِ الرأسِ للقدمينِ ..
فكوني سألتكِ كلَّ الأنوثةِ ..
لا امرأةً بينَ .. بينَ ..

١٠

أريكِ أنثى ..
لأن الحضارةِ أنثى ..
لأن القصيدةِ أنثى ..
وسنبلةِ القمحِ أنثى ..
وقارورةِ العطرِ أنثى ..

وباريسَ - بين المدائن - أنثى ..
وببيروتَ تبقى - برغم الجراحات - أنثى ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يكتبوا الشعرَ .. كوني امرأة ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يصنعوا الحبَّ ... كوني امرأة ..
وباسمِ الذين يريدونَ أن يعرفوا اللهَ .. كوني امرأة ..

ربما ..

١

أنا لم أعشَقكِ حتى الآن .. لكن ربما ..
تحدثُ المعجزةُ الكبرى .. وتنشقُّ السما ..
عن فراديسَ عجيبة ..
وتصيرينَ الحبيبة ..
وتصيرُ الشمسُ يا سيدتي
خاتماً بين يدي ..
وأرى في حلمي وجهَ النبي
وأرى الجنةَ من نافذتي والأنجما ..
ربما ..

٢

أنا لم أعشَقكِ حتى الآن .. لكن ربما ..
يضربُ الطوفانُ شطآنَ حياتي
ويجيءُ البحرُ من كلِّ الجهاتِ ..
ربما يحتاجني الإِعمارُ في يومِ غدٍ
ربما بعدَ غدٍ ..
ربما في أشهرٍ أو سنواتٍ ..
فاعذريني إن تريثتُ قليلاً ..
فأنا أختارُ في شكلٍ دقيقٍ كلماتي ..
معجبٌ فيكِ أنا ..
غير أنَّ الحبَّ ما بللَ بالدمع سريري ..
أو رمى أزهاره في شرفاتي ..

٣

أنا لم أعشَقكِ حتى الآن .. لكن ..
سوفَ تأتي ساعةُ الحبِّ التي لا ريبَ فيها ..
وسيرمي البحرُ أسماكاً على نهديكِ لم تنتظريها .

وسيهديك كنوزاً ، قبلُ ، لم تكتشفها ..
سيجيءُ القمحُ في موعده ..
ويجيءُ الوردُ في موعده ..
وستنسبُ الينابيعُ ، وتخضرُ الحقولُ
فاتركي الأشجارَ تنمو وحدها ..
واتركي الأنهارَ تجري وحدها ..
فمن الصعب على الإنسان تغييرُ الفصول ..
٤

ربما كنتِ أرقَّ امرأةً ..
وُجدتُ في الكون ، أو أحلى عروسٍ ..
ربما كنتِ برأي الآخرين
قمرَ الأقمار ، أو شمسَ الشمس
ربما كنتِ جميلةً ..
مثلَ لونِ البحر ، أو لونِ الطفولة
غيرَ أنَّ الحبَّ – مثلَ الشعرِ عندي –
لا يُلبيني بيُسْر وسهولةً ..
فاعذريني إن ترددتُ ببوحي ..
وتجاهلتكِ صدرًا ، وقوامًا ، وجمالًا ..
إنَّ حبي لك ما زالَ احتمالًا ..
فاتركي الأمرَ إلى أن يأذنَ اللهُ تعالى ..
٥

إشربي القهوةَ يا سيدتي ..
ربما يأتي الهوى كالْمسيحِ المنتظرِ ..
ليس عندي الآنَ ما أعلنهُ ..
فلقد يأتي .. ولا يأتي الهوى
ولقد يلغي مواعيدَ السفرِ ..
ربما أكتبُ شعراً جيداً ..
غيرَ أنني لم أحاولُ أبداً من قبلُ إسقاطَ المطرِ
لا ولا حاولتُ أن أخرجَ من جيبي القمرَ ..
إنَّ للحبِّ قوانينَ فلا ..
تستبقي وقتَ الثمرِ ...

إشربي القهوةَ يا سيدتي ..

وابحثي في صفحة الأزياء عن ثوبٍ جميلٍ ..
أو سوارٍ مبتكرٍ ..
وابحثي في صفحة الأبراج عن عصفورةٍ خضراءٍ ..
تأتيك بمكتوبٍ جديدٍ .. أو خبرٍ ..
إشربي القهوةَ يا سيدتي ..
فالجُميلاتُ قضاءٌ وقدرٌ ..
والعيونُ الخضراءُ والسودُ ..
قضاءٌ وقدرٌ ..

٧

هل أنا أهواك ؟ لا شيءَ أكيدٌ ..
هل أنا مُضطربُ الرؤيةِ والتفكيرِ .. لا شيءَ أكيدٌ ..
هل أنا منشطُ النفسِ إلى نفسينِ .. لا شيءَ أكيدٌ ..
هل حياتي شبتِ النارُ بها ؟
هل ثيابي اشتعلتْ ؟ هل حروفي اشتعلتْ ؟
هل دموعي اشتعلتْ ؟
هل أنا ضوءٌ سماويٌّ .. وإنسانٌ جديدٌ ؟
لا تسمي ذلكَ الإعجابَ يا سيدتي حباً ..
فان الحبَّ لا يأتي إذا نحنُ أردناه ..
ويأتي كغزلٍ شاردٍ حين يريدُ ..

٨

إشربي القهوةَ ، يا مائبة الصوتِ ، وخضراءَ العيونِ ..
فعلى خارطةِ الأشواقِ لا أعرفُ في أي مكانٍ سأكونُ ..
ومتى يذبحني سيفُ الجنونِ ؟
فلماذا تكثرينِ الأسئلةَ ؟
ولماذا أنتِ ، يا سيدتي ، مستعجلةٌ ؟
أنا لا أنكرُ إعجابي بعينيكِ ، فإعجابي بعينيكِ قديمٌ ..
لا ولا أنكرُ تاريخي مع العطرِ الفرنسيِ الحميمِ
ومه النهد الذي كسرَ أبوابَ الحريمِ ..
غير أنني لم أزلُ أفتقدُ الحبَّ العظيمَ ..
أه ما أروة أن ينسحقَ الإنسانُ في حبٍّ عظيمٍ ..
فامنحيني فرصةً أخرى .. فقد
يكتبُ اللهُ عليَّ الحبَّ .. واللهُ كريمٌ ..

أنا لم أعشقتك حتى الآن .. لكن من سيدري ؟
ما الذي يحدث في يومٍ وليلة ..

من سيدري ؟

ربما تنمو أزاهيرُ المانوليا فوق ثغري
ربما تأوي ملايينُ الفراشات إلى غاباتِ صدري ..
ربما تمنحني عيناكِ عمراً فوق عمري ..

من سيدري ؟

ما الذي يحدث للعالم لو أني عشقت ..
هل يجيء الخيرُ والرزقُ ، ويزدادُ الرخاءُ ؟
هل ستزدادُ قناديلُ السماء ..
هل سيمضي زمنُ القبح .. ويأتي الشعراءُ
ثم هل يبدأ تاريخٌ جديدٌ للنساء ؟
من سيدري ... ؟

إشربي قهوتك الآن .. ولا تستعجليني ..
فأنا أجهلُ أوقاتَ العصافير ، كما أجهلُ وقتَ الياسمين ..
فاعذريني ..

إن أنا قصرتُ في التعبير عما يعتريني ..
فأنا أجهلُ في أي نهارٍ سوف أعشق ..
ومتى يضربني البرق ، وفي أي بحارٍ سوف أغرقُ
وعلى أي شفاهٍ سوف أرسو ..
وعلى أي صليبٍ سأعلق ..
أه .. لو أعرفُ ما يحدث في داخل قلبي ..
إنَّ أمرَ الحبِّ يا سيدتي من علم ربي
فاتركي الأمرَ لتقدير السما ..
ربما ندخلُ في مملكةِ العشق قريباً ..
ربما ..

صورة خصوصية جداً

من أمر شيف السيدة م

١

الركبة الملساء .. والشفة الغليظة ..
والسراويل الطويلة والقصيرة
إني تعبتُ من التفاصيل الصغيرة ..
ومن الخطوط المستقيمة .. والخطوط المستديرة ...
وتعبتُ من هذا النفير العسكري
إلى مطارحة الغرام
النهْدُ .. مثلُ القائد العربيّ يأمرني :
تقدمُ للأمام ..
والفللُ الهنديّ في الشفتين يهتفُ بي :
تقدمُ للأمام ..
والأحمرُ العنبيُّ فوق أصابع القدمين .. يصرخُ بي
تقدمُ للأمام ..
إني رفعتُ الرايةَ البيضاءَ ، سيدتي ، بلا قيدٍ ولا شرطٍ
ومفتاحُ المدينة تحت أَمركِ ..
فادخليها في سلامٍ ..
جسدي المدينةُ ..
فادخلي من أيِّ بابٍ شئتِ أيتها الأميرة ..
وتصرفي بجميع ما فيها .. ومن فيها ...
وخليني أنام ..

٢

الركبةُ البيضاءُ .. والحمراءُ .. والخضراءُ
كيف أُميزُ الألوانَ ؟
إن زجاجةَ الفودكا تحيلُ ثقافتِي صفراً ..
وترجعني إلى جهلِ العشيرة ..
وتضخمُ الإحساسَ بالأشياء ..
ترميني عليكِ كأنكِ الأنثى الأخيرة ..

مايا تغني - وهي تحت الدوش - أغنيةً من اليونان رائعةً ..
 وتضحكُ دونما سببٍ ..
 وتغضبُ دونما سببٍ
 وترضى دونما سببٍ
 ويدخلُ نهدها الذهبيُّ في لحم المرأيا ..
 مايا تناديني ..
 لأعطيها مناشفها ..
 وأعطيها مكاحلها ..
 وأعطيها خواتمها الملونةَ الثيرةَ
 مايا تقولُ بأنها لم تبلغِ العشرينَ بعدُ ..
 وأنها ما قاربتُ أحداً سوايا ...
 وأنا أصدقُ كلَّ ما قالَ النبيذُ ..
 وكلَّ ما قالتُهُ مايا ..

مايا على (الموكيت) حافيةٌ ..
 وتطلبُ أن أساعدها على ربط الضفيرةَ
 وأنا أواجهُ ظهرها العاري ..
 كطفلٍ ضائعٍ ما بين آلاف الهدايا ..
 الشمسُ تشرقُ دائماً من ظهر مايا ...

من أين أبدأ رحلتي ؟
 والبحرُ من ذهبٍ .. ومن زغبٍ ..
 وحولَ عمودها الفقريِّ أكثرُ من جزيرةَ
 منْ يا ترى اخترعَ القصيدةَ والنبيذَ وخصرَ مايا ...
 مايا لها إبطان يخترعانِ عطرهما ..
 ويكتشفان رائحةَ الطريدةِ ..
 مايا تسافرُ في انحناءات النبيذِ ..
 وفي انحناءاتِ الشعور ..
 وفي إضاءاتِ القصيدةِ ...
 وأنا أسافرُ في أنوثتها وضحكتها ..
 وأرسو كلَّ ثانيةٍ على أرضٍ جديدةٍ ..
 مايا تقولُ بأنني الذكرُ الوحيدُ ..

وإنها الأنثى الوحيدة ..
وأنا أصدق كلَّ ما قال النبيذُ
وكلَّ ما قالتُهُ مايا ...

٦

مايا لها نهدانِ شيطانانِ همهما مخالفةُ الوصايا ..
مايا مخربةٌ .. وطيبةٌ ..
وماكرةٌ .. وطاهرةٌ ..
وتحلو حين ترتكبُ الخطايا ...
الحرُّ في تموزَ يجلدني على ظهري ..
فكيف يمارسُ الإنسانُ فنَّ الحبِّ في غِزِّ الظهيرة ؟
والموتَ في غِزِّ الظهيرة ؟

٧

مايا وراء ستارة الحمام واقفة كسنبلة ..
وتروي لي النوادرَ والحكايا ..
وأنا أرى الأشياءَ ثابتةً .. ومائلةً ..
وحاضرةً .. وغائبةً ..
وواضحةً .. وغامضةً ..
فتخذلني يدايا ..
مايا مبللةٌ وطازجةٌ كتفاحِ الجبال ..
وعند تقاطعِ الخلجان قد سالتُ دمايا ..
مايا تكررُ أنها ما لامستُ أحداً سوايا ..
وأنا أصدق كلَّ ما قالَ النبيذُ ..
ونصفَ ما قالتُهُ مايا ..

٨

مايا مهيأةٌ كطاووسٍ ملوكيٍّ ..
وزهرةٍ جلنارٍ ..
مايا تفتشُ عن فريستها كأسمكِ البحارِ ..
فمتى سأخذ القرارَ ؟

٩

هذي شواطئُ حضرموتَ ..
وبعدها .. تأتي طريقُ الهندِ ..
إنَّ مراكبي داختُ ..
وبين الطحلبِ البحري والمرجانِ ..

تنتفحُ احتمالاتٌ كثيرةٌ ..
ماذا اعتراني ؟
إن أفريقيا على مرمي يدي ..
ومجاهلُ البنغال أخطرُ من خطيرة ..
مايا تناديني ..
فتنفجرُ المعادنُ ..
والفواكهُ ..
والتوابلُ ..
والبهارُ ..
هذا النبيذُ أساءَ لي جداً ...
وأنساني بداياتِ الحوارِ ..
فمتى سأتخذُ القرارَ ؟

١٠

مايا تُغني من مكان ما ..
ولا أدري على التحديد أين مكانُ مايا ..
كانت وراءَ ستارة الحمام ساطعةً كلؤلؤةٍ ..
وحولها النبيذُ إلى شظايا ...

١١

مايا تقولُ بأنها امرأتي ..
ومالكتي ..
ومملكتي ..
وتحلفُ أنها ما ضاجعتُ أحداً سوايا ..
وأنا أصدقُ كلَّ ما قالَ النبيذُ ..
ورُبَّعَ ما قالته مايا ..

قصيدة حب ١٩٨٠

١

في نهايات شهر ديسمبر من كل عام
يصبحُ دمي بنفسجياً ..
تهجمُ كرياتُ العشق على بقية الكريات
وتأكلها ...
تهجمُ الكلمةُ الأنثى على بقية الكلمات
وتطردها ...
ويكتشفون من تخطيط قلبي ..
أنه قلبُ عصفورٍ ..
أو قلبُ سمكةٍ ..
وأن مياهَ عينيكِ الدافئة ..
هب بيئتي الطبيعية
والشرطُ الضروريّ لاستمرار حياتي ..

٢

في نهايات شهر ديسمبر من كل عام
عندما تصبحُ المكتباتُ
غابةً من البطاقات الملونة
ويصبحُ مكتبُ البريدُ
حقلاً من النجوم ... والأزهار ... والحروف المقصّبة
أقعُ في إشكالٍ لغويّ كبيرٍ ..
أسقطُ من فوق حصان الكلمات
كرجلٍ لم يرَ الخيلَ في حياته ..
ولم يرَ النساءَ ..
أخذُ صفراً في الأدبِ
أخذُ صفراً في الإلقاء
أرسبُ في مادة الغزلِ
لأنني لم أستطع أن أقولَ بجملةٍ مفيدةٍ
كم أنتِ رائعة
وكم أنا مقصّرٌ في مذاكرة وجهك الجميلِ
وفي قراءة الجزء العاشرِ بعد الألف ..
من شعركِ الطويلِ ...

اشتغلتُ عاماً كاملاً
على قصيدة تلبسينها عام ١٩٨٠
كلّ الهدايا متوفرة في الأسواق
إلا هدايا القلب
كلّ الأساور صغيرة على يدك
إلا أساورَ حناني ...
إثني عشرَ شهراً .. وأنا أشتغلُ
كدودة الحرير أشتغلُ ..
مرةً بخيطٍ ورديّ ..
ومرةً بخيطٍ برتقاليّ ..
حيناً بأسلاك الذهب
وحيناً بأسلاك الفضة
لأفاجئك بأغنية ..
تضعيها على كتفك كشالِ الكشمير ..
ليلة رأس السنة ..
وتثيرين بها مخيلة الرجال .. وغيره النساء ..

إثني عشرَ شهراً ..
وأنا أعملُ كصائغٍ من آسيا ..
في تركيب قصيدة ..
تليقُ بمجد عينيك ..
أشكّ اللؤلؤةَ باللؤلؤة ..
والياقوتةَ بالياقوتة ..
والدمعةَ بالدمعة ..
وأصنعُ منها حبلاً طويلاً .. طويلاً من الكلمات
أضعه حول عنقك .. وأنا أبكي ...
إثني عشرَ شهراً
وأنا أعملُ كنساجي الشام
وفلورنسا .. والصين .. وبلاد فارس
في حياكة عباءة من العشق ..
لا يعرفُ مثلها تاريخُ العباءات ..
ولا تاريخُ الرجال ..

إثني عشرَ شهراً ..
 وأنا في أكاديمية الفنون الجميلة
 أرسمُ خيولاً بالحرير الصينيِّ
 تشبهُ انفلاتَ شعركُ
 وأعجنُ بالسيراميك أشكالا لولبية
 تشبهُ استدارةَ نهديك ..
 على القماش رسمتُ ..
 وعلى الزجاج رسمتُ ..
 وعلى المطر .. والبحر .. ودفاتر الليل رسمتُ ..
 صنعتُ الأصواتَ التي لها رائحة ..
 والرائحةَ التي لها صوت ..
 ورسمتُ حول خصرِك زيحاً بالقلم الأخضرُ ..
 حتى لا يخطر بباله أن يصبح فراشةً .. ويطيرُ
 إثني عشرَ شهراً ..
 وأنا أكسر اللغةَ إلى نصفين ..
 والقمرَ إلى قمرين ..
 قمرٍ تستلمينه الآن ..
 وقمرٍ تستلمينه في بريد عام ١٩٨٠

سأقول لك أحبك ..

١

سأقولُ لك " أحبك " ..
 حينَ تنتهي كلُّ لغاتِ العشق القديمة
 فلا يبقى للعشاقِ شيءٌ يقولونه .. أو يفعلونه ..
 عندئذٍ ستبدأ مهمتي ..
 في تغيير حجارة هذا العالم ..
 وفي تغيير هندسته ..
 شجرةً بعد شجرة ..
 وكوكباً بعد كوكب ..
 وقصيدةً بعد قصيدة ..

٢

سأقولُ لك " أحبك " ..

عندما أشعر أن كلماتي صارت تستحقك ..
وتضيّق المسافةُ بين عينيكَ وبين دفاتري ..
ويصبحُ الهواءُ الذي تتنفسينه يمرُّ برئتي أنا ..
وتصبحُ اليد التي تضعيها على مقعد السيارة ..
هي يدي أنا ..
سأقولها ، عندما أصبح قادراً ،
على استحضار طفولتي ، وخيولي ، وعساكري ،
ومراكبي الورقية ..
واستعادة الزمن الأزرق معك على شواطئ بيروت .
حين كنت ترتعشين كسمكة بين أصابعي ..
فأغطيكَ ، عندما تنعسين ..
بشرشفٍ من نجوم الصيف ..

٣

سأقولُ لك " أحبك "
عندما أشعرُ أن الأرضَ حتى تدورَ بحاجةٍ إليك
وسنابلَ القمح حتى تنضج .. بحاجةٍ إليك ..
والفصولَ حتى تتعاقب .. بحاجةٍ إليك ..
والينابيعَ حتى تنفجر ..
والحضارةَ حتى تتحضر ..
والعصافيرَ حتى تتعلمَ الطيران ..
والفراشات حتى تتعلمَ الرسم ..
وأنا حتى أمارس النبوة
بحاجةٍ إليك ..

٤

سأقولُ لك " أحبك "
عندما تسقط الحدودُ نهائياً بينك وبين القصيدة ..
ويصبح النومُ على ورقة الكتابة
شهياً ومدمراً كالنوم معك ..
ليس الأمرُ سهلاً كما تتصورين ..
فأنا لا أستطيع أن أحبَّ امرأة ..
خارجَ إيقاعاتِ الشعر ..
ولا أن أدخلَ في حوارٍ مع جسدٍ لا أعرفُ أن أتهجأه
كلمةً كلمةً ..

ومقطعاً كقطعاً ..
إنني لا أعاني من عقدة المثقفين ..
لكن طبيعتي ترفض الأجساد التي لا تتكلم بذكاء
والعيون التي لا تطرح الأسئلة ..
إن شرط الشهوة عندي ، مرتبط بشرط الشعر
فالمرأة قصيدة أموت عندما أكتبها ..
أموت عندما أنساها ..

هل تجيئين معي إلى البحر؟

١

هل تجيئين معي إلى البحر ؟
هل تهربين معي من الزمن اليابس إلى زمن الماء
فنحن منذ ثلاث سنين
لم ندخل في احتمالات اللون الأزرق
لم نمسك بأيدينا ..
أفقاً ..
أو حلماً .. أو قصيدة ..
لقد جعلتنا الحرب الأهلية حيوانين بريين
يتكلمان دون شهية ..
ويتناسلان دون شهية
ويلتصقان ببعضهما بصمغ العادات المكتسبة
قهوتي التركية عادةً مكتسبة ..
وحمامك الصباحي عادةً مكتسبة ..
ولون مناشفك عادةً مكتسبة
فماذا لا تلبسين قبعة الشمس ؟
وتأتين معي ..
إنني ضجرت من هذه العلاقة الأكاديمية
التي أعطتك شكل النساء المتزوجات دون حب
وأعطتني ..
شكل القصيدة العمودية ...

* * *

٢

كل الأشياء بين يدينا ..
هشة .. وقابلة للكسر ..
كل أيام الأحد ..
تتشابه كمنشور سياسي
كل أنواع الكحول ..
لها مذاق واحد .. ومفعول واحد
كل الطرقات إلى نهديك
تؤدي إلى الانتحار ..

فلماذا .. لا نخرج إلى البحر ؟
إنّ البحرَ لا يكرر نفسه ..
ولا يعيد كتابةَ قصائده القديمة ..
البحرُ .. هو التغيرُ والولادة ..
وأنا أريدك أن تتغيري .. وأن تغيريني ..
أريدُ أن ألدك .. وأن تلديني ..
أريدُ أن تنقشي بالخط الكوفي على جلدك
كما تنقش المرأة العاشقة ..
إسمَ رجلها على صدرها ..
قبل أن يذهبَ إلى الحرب ..
أريدُ أن أمشي معك في شارع الشعر ..
وأنام معك تحت شجر الشعر ..
وأضع في يديك الصغيرتين أساورَ الشعر ..
أريدُ أن أطلقَ سراحك من هذه الزنانة العربية
التي أعطتك شكل النساء المتزوجات دون حب ..
وأعطتني شكلَ القصيدة العمودية ...

٣

لقد انفجرتُ بيروتُ بين أصابعي ..
كدواةٍ بنفسجية ..
ودخلتُ شظاياها في صوتي وفي أوراقي ..
فساعديني على ترميم وجهي ..
وترميم لغتي
فاللغة قطارٌ ليليّ بطيء
ينتحر فيه المسافرون من شدة الضجر
فتعالى نطلق النارَ على الأحرف الأبجدية ..
ألا يمكنني أن أحبك خارجَ المخطوطات العربية ؟
وخارجَ الفرمانات العربية ..
وخارجَ أنظمة المرور العربية ..
وخارجَ الأوزان العربية ..
فعولنُ مفاعيلنُ فعولنُ مفاعيلنُ ..
ألا يمكنني أن أجلس معك في الكافيتيريا ؟
دون أن يجلس معنا أمرو القيس ؟
فعولنُ مفاعيلنُ فعولنُ مفاعيلنُ ..

ألا يمكنني أن أدعوك للرقص ؟
دون أن يرقصَ معنا البحتري ..
فعولنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعيلنْ ..
ثمّ .. ألا يمكنني أن أوصلك إلى منزلك في آخر الليل ..
إلى بحراسة رجلِ المخابرات عنتره العبسي ..
آه .. كم هو متعبٌ أن أتغزل بعينيك ..
وأنا تحت الحراسة ..
وأتجولَ في ليل شعرك .. وأنا تحت الحراسة
آه .. كم هو متعبٌ ..
أن أحبك بين فتحتين ..
أو همزتين ..
أو نقطتين ..
فلماذا لا نرمي بأنفسنا من قطار اللعنة ؟
ونتكلم لغة البحر ؟

٤

هل تجيئين معي إلى البحر ؟
لنحتمي تحت عباءته الزرقاء ..
هل أبوحُ لك بسرّ صغير ؟
إنني أصيرُ قبيحاً عندما لا أكتب ..
وأصيرُ قبيحاً عندما لا أعشق ..
فساعديني على استعادة المجدين ..
مجد الكتابة .. ومجد العشق ..

٥

هل تدخلين معي في احتمالات اللون الأزرق ..
واحتتمالات الغرق والدوار ..
واحتتمالات الوجه الآخر للحب ..
لقد دمرتني العلاقة ذات البعد الواحد ..
والحوار ذو الصوت الواحد ..
والجنس ذو الايقاع الواحد ..
لقد تفكك الزمن بين أصابعنا
وتفككت عناصر عينيك ..
إلى ليل .. ورمل .. وماء ..
فساعديني على لملمتك ..

وللملحة شعرك الذي ذهب ولم يترك لي عنوانه ..
ساعديني على تشكيل اسمك ..
فأنا أركض .. وهو يركض أمامي كدجاجة مذبوحة ..
ساعديني في العثور على فمي ..
فقد أخذت الحرب دفاتري وخربشاتي الطفولية
أخذت الكلمات التي كان يمكن أن تجعلك أجمل النساء
والكلمات التي كان يمكن أن تجعلني أعظم الشعراء ..
فلماذا لا تخلعين جلدك ..
وتلبسين جلد البحر ؟
لماذا لا تخلعين طقسك المعتدل ؟
وتلبسين جنوني ..
لماذا لا تخلعين ثوب الغبار .. وتلبسين أمطاري ؟
لقد تكدس على شفاها شوك كثير .. وضجر كثير ..
فلماذا لا ننور على هذه العلاقة الأكاديمية ..
التي أعطتك شكل النساء المتزوجات ..
وأعطتني شكل القصيدة العمودية !! ..

كيف؟

١

كيف أتعاملُ معك ..

كيف؟

أيّ المفاتيح تفتحُ أبوابَ مملكتك؟

أيّ القصائد تدخلني إلى قاعة العرش؟

أي نوع من النبيذ ..

أقدمه لرشوة حراسك؟

طبقتُ عليك علومَ الأولين والآخرين

وحكمةَ الفلاسفة .. وجنون المجانين ..

لم أتركُ كتاباً من كتب العشاق .. إلا قرأته ..

ولا عشبةً من أعشاب الصين .. إلا تعاطيتها ..

ولا رياضةً هندية للتغلب على النفس ..

إلا مارسها ..

فلا الأعشابُ الصينيةُ نفعتني ..

ولا الطقوسُ البوذيةُ نفعتني ..

ولا مؤلفاتُ العشاق .. نفعتني ..

أيتها المرأة التي لم تكتبها الكتب ..

٢

استعملتُ معك كلَّ الطرق ..

التي يستعملها الرجالُ عادةً لاستمالة النساء

حاولتُ اللجوءَ إلى ضاربات الودع .. ففشلتُ ..

وإلى مستحضري الأرواح .. ففشلتُ ..

حاولتُ أن أعاقبك بالذهاب مع امرأةٍ أخرى ..

فعاقبتُ نفسي ..

دليني على طريقةٍ أنتصرُ فيها عليك ...

فكلما ضربتُ نهديك بالسياط ..

تفجر الدم من جسدي ..

٣

أيتها المرأة في كل شيء ..

والقادرةُ على كل شيء ..

معك .. لا ينفع عنفٌ ولا خشوته

لا ينفع هجرٌ ولا خيانة ..
كلّ الخيانات هي في مصلحتك ..
كلما دخلت إلى بيت امرأة ..
خرجت إليّ من وراء الستائر ..
كلما مارست الحبّ مع امرأةٍ أخرى ..
حبّلتِ أنتِ !! ...

شينروفرينيا

١

بيني وبينك علاقةٌ حبّ صعبة
لا أفكرُ في مقاومتها ..
أو الاحتجاجِ عليها ..
فالحبُّ الكبير هو دائماً حبُّ صعب
وليس صحيحاً أنه يأتينا على عربةٍ تجرها الملائكة ..
وليس صحيحاً ..
أننا نجده مختبئاً كالقمر تحت شراشفنا ..
أو كشامةٍ زرقاء
تحت خالصرتنا اليسرى ..

٢

بيني وبينك لغةٌ لا تزالُ في طور التشكيل ..
وكلامٌ لم يتعلم بعدُ .. كلّ الكلام ..
ودفاترُ لا تزالُ تنتظرُ نهذاً ينقط فوقها عسلاً ..
وذهباً .. وبهاراً هندياً ..
بيني وبينك ، كهنةٌ .. وعرافونَ .. وفناجينُ قهوةٍ لم تفتح ..
وعلاماتُ حبٍّ قادمٍ ..
تشبهُ علاماتِ يوم القيامة ..
ونبوءاتٍ عن أنهارٍ ستفيضُ
وكنوزٍ ستتوهجُ ..
وحويّناتٍ شعريةٍ ستتلقحُ ..
وأطفالٍ سيذهبونَ كلّ صباحٍ إلى مدرسة البنفسج ...

٣

بيني وبينك طقسٌ رماديّ يميلُ إلى المطر ..
وأنا أستهيك تحت المطر ..

وقبلَ المطرُ ..
وبعدَ المطرُ ..
وأستنشِقُ كما يستنشِقُ الأرنبُ
أعشابَ البراري ..
بيني وبينك حالةٌ من الشعر لم أكتبها بعدُ ..
وحالةٌ من النبوءة لم أبشّر بها الناسَ بعدُ ..
وحالةٌ من الانخفافِ ..
تجعلني سيّدَ الدراويشِ ..
بيني وبينك أسئلةٌ لا أريدها أن تجابَ ..
وتناقضاتٌ جميلةٌ ليس من مصلحة الحب أن تنتهي ..
وخصوماتٌ طفوليةٌ ..
ليس من مصلحة الشعر أن تُحسمَ ..
وعاداتٌ صغيرة ..
تتسلقُ على رفوف الكتبِ .. وورقِ الجدرانِ ..
وتترسبُ مع البنّ في فناجين القهوة ..
٤

بيني وبينك فضيحةٌ غيرُ معلنة ..
وزلازلُ مجهولةُ التوقيتِ ..
وجريمةٌ عشقٍ قابلةٌ للتنفيذ في أية لحظة ..
بيني وبينك شوارعُ نصفِ مضيئة ..
وستائرُ نصفِ مغلقة ..
وقطاراتُ ليلةٍ أسمعُ صفيرها .. ولا أراها ..
وأشجارُ أناناسٍ .. أجلسُ تحتها ..
وأهذي في نومي ..

٥

بيني وبينك بلادٌ من العطشِ ..
ومنحرفون شعرياً .. وجنسياً يرفضون أنوثتكِ ..
كما يرفضون قصائدي ..
بيني وبينك طغاةٌ .. ومخبرون .. ومراكزُ قوى ..
وشركاتٌ مساهمةٌ لمكافحة الحب ، والثورة ، والكتابة ..
بيني وبينك ..
رجالٌ يطفون كقطع الفلين على سطح الشعر ..
ونساءٌ .. يبعن أساورهن ..

ويقطعن أيديهن من أجل الشعر ..

٦

بيني وبينك ..

مجتمع من الصيارفة لا يمكن اختراقه .

ومجتمع من البطاركة ..

لا يعترف حتى الآن بشرعية عينيك ..

وفقهاء ..

ومجتهدون ..

ومُفسرون ..

قررُوا بإجماع الآراء سفك دمي

وشطب شعري من مناهج وزارة التربية ..

حتى لا تتكحل به بنات القبيلة

مخطط لاخطاف امرأة أحبها ..

١

لامبرر لإعلان حبي لك في السنة الجديدة
فكلّ السنوات تبدأ بك ..
وتنتهي فيك ..
ساكون مضحكاً لو فعلت ذلك ،
لأنك تسكنين الزمن كله ..
وتسيطرين على مداخل الوقت
إن ولائي لك لم يتغرّ .
كنتِ سلطانتي في العام الذي مضى ..
وستبقين سلطانتي في العام الذي سيأتي ..
ولا أفكرُ في إقصائك عن السلطة ..
فأنا مقتنعٌ ..
بعدالة اللون الأسود في عينيك الواسعتين ..
وبطريقتك البدوية في ممارسة الحب ..

٢

إنني أحبك ..
ولا أجدُ ضرورةً للصراخ بنبرةٍ مسرحية :
" هذه هي حبيبتي .. "
فالمسمى لا يحتاجُ إلى تسمية
والمؤكد لا يحتاجُ إلى تأكيد ..
إنني لا أؤمنُ بجدوى الفن الإستعراضي ..
ولا يعنيني أن أجعلَ قصتنا ..
مادةً للعلاقات العامة ..
ساكونُ غيباً ..
لو وقفتُ فوق حجرٍ ..
أو فوق غيمة ..
وكشفتُ جميع أوراقِي ..
فهذا لا يضيفُ إلى عينيك بُعداً ثالثاً ..
ولا يضيفُ إلى جنوني دليلاً جديداً ..
إنني أفضلُ أن أستبقيك في جسدي
طفلاً مستحيلَ الولادة ..

وطعنةً سريةً لا يشعرُ بها أحدٌ غيري ..
٣

لا تبحتني عني ليلة رأس السنة
فلن أكونَ معك ..
ولن اكونَ مع أي امرأة ..
ولن اكونَ في أي مكان
فكرنُفالاتُ الفرح القسري لم تعدُ تعني لي شيئاً .
إنني لا أشعرُ بالرغبة في الموت مشنوقاً
في أحدِ مطاعم الدرجة الأولى ..
حيثُ الحبّ .. طبقٌ من الحساء البارد لا يقربه أحدٌ ..
وحيثُ الأغبياءُ يوصونَ على ابتساماتهم
قبلَ شهرينَ من تاريخ التسليم ..

٤

لا تنتظريني في القاعات التي تنتحرُ بموسيقى الجاز ..
فليس باستطاعتي الدخولُ في هذا الفرح الكيميائيّ
حيثُ النبيذُ هو الحاكمُ بأمره ..
والطبلُ .. هو سيد المتكلمين ..
لن أحضرَ يا سيدتي ..
فلقد شُفيتُ من الحماقات التي كانتُ تنتابني كلّ عامٍ
كنوبة زكام ..
وأعلنتُ لكلّ السيداتِ المتحفزات للرقصِ معي ..
أنّ جسدي لم يعدُ معروضاً للإيجار ..
وأنّ فمي ليس جمعيةً تعاونيةً
توزعُ على الجميلات أكياسَ الغزل المصطنع
والمجاملاتِ الفارغة ..
إنني لم أعدُ قادراً على ممارسة الكذب الأبيض
وتقديم المزيد من التنازلات اللغوية ..
والعاطفية

٥

إقبلني اعتذاري .. يا سيدتي
فهذه ليلةُ تأميمِ العواطفِ
وأنا أرفضُ تأميمَ حبي لك ..
أرفضُ أن أتخلّى عن أسرارِي الصغيرة

لأجعلك ملصقا على حائط ..
فهذه ليلة الوجوه المتشابهة ..
والضحكات المتشابهة ..
والتفاهات المتشابهة ..
وأنت لا تشبهين أحداً .. ولا يشبهك أحد ..
أنت لا تشبهين إلا حزني ..
ولا تشبهين إلا الشعر ..

٦

لن أكون معك هذه الليلة ..
ولن أكون في أي مكان ..
فقد اشتريت مراكب ذات أشعة بنفسجية ..
وقطارات لا تتوقف إلا في محطة عينيك ..
وطائرات من الورق تطير بقوة الحب وحده ..
واشتريت ورقاً .. وأقلاماً ملونه
وقررت .. أن أسهر مع طفولتي

تكتيبين الشعر .. وأوقع أنا ..

١

ليس لي القدرة على تغييرك
أو على تفسيرك ..
لا تصدقي أن رجلاً يمكنه تغيير امرأة ..
وباطلة دعاوى كل الرجال الذين يتوهمون ،
أنهم صنعوا المرأة من أحد أضلاعهم ..
المرأة لا تخرج من ضلع الرجل أبداً ..
هو الذي يخرج من حوضها ..
كما تخرج السمكة من حوض الماء
وهو الذي يتفرغ منها ،
كما تتفرغ السواقي من النهر ..
وهو الذي يدور حول شمس عينيها ..
ويتصور أنه ثابت في مكانه ..

٢

ليس لي القدرة على تعليمك أي شيء ..
فنهالك دائرتا معارف ..
وشفتاك هما خلاصة تاريخ النبيذ
إنك امرأة مكتفية بذاتها
زيتك منك ..
وقمحك منك ..
ونارك منك ..
وصيفك وشتاؤك ..
وبرقك وورعدك ..
ومطرك وثلجك ..
وموجك وزبدك .. كلها منك ..
ماذا أعلمك يا امرأة ؟
من يستطيع أن يقنع سنجاباً بالذهاب إلى المدرسة ؟
من يستطيع أن يقنع سيامياً بالعزف على البيانو ؟
من يستطيع أن يقنع سمكة القرش ..
بأن تصبح راهبة ..

ليس لي القدرةُ على ترويضك ..
 أو تدجينك ..
 أو تهذيب غرائزك الأولى .
 هذه مهمةٌ مستحيلةٌ ..
 لقد جربتُ ذكائي معك ..
 وجربتُ أيضاً غبائي ..
 فلم تنفع معك هدايةٌ ولا غوايةٌ .
 خليك بدائيةً كما أنتِ ..
 خليك مزاجيةً كما أنتِ ..
 خليك هجوميةً كما أنتِ ..
 ماذا يبقى من إفريقيا ؟ ...
 إذا أخذنا منها نمورها .. وبهاراتها ..
 ماذا يبقى من جزيرة العرب ؟
 إذا أخذنا منها ..
 مجدَ النفطِ ..
 ومجدَ الصهيل !!

ليس لي القدرةُ على كسر عاداتك ..
 هكذا أنتِ منذ ثلاثين سنةً
 منذ ثلاثمئة سنةً ..
 منذ ثلاثة آلاف سنةً ..
 إعصارٌ محبوسٌ في زجاجةٍ ..
 جسدٌ يتحسس رائحةَ الرجل بالفطرة ..
 ويهاجمه بالفطرة ..
 وينتصرُ عليه بالفطرة ..

فلا تصدقي ما يقوله الرجلُ عن نفسه ،
 بأنه هو الذي يصنعُ القصائد ..
 ويصنعُ الأطفال ..
 إن المرأةَ هي التي تكتبُ الشعرَ ..
 والرجل هو الذي يوقعه ..
 والمرأةَ هي التي تتجبُّ الأطفال ..

والرجلُ هو الذي يوقع في مستشفى الولادة ..
بأنه أصبح أباً !!

٥

ليس لي القدرةُ على تغيير طبيعتك ..
لا كتبي تنفَعك ..
ولا قناعاتي تقنعك ..
ولا نصائحي الأبويةُ تفيدك ..
أنتِ ملكةُ الفوضى ، والجنون ، وعدم الانتماء
فضلي كما أنتِ ..
أنتِ شجرةُ الأنوثة التي تكبر في العتمة ..
ولا تحتاجُ إلى شمسٍ وماء ..
أنتِ أميرةُ البحر التي أحبت كلَّ الرجال
ولم تحب أحداً ..
وضاجعت كلَّ الرجال .. ولم تضاجع أحداً ..
أنتِ البدويةُ التي ذهبت مع كلِّ القبائل
وعادت عذراء ..
فضلي كما أنتِ ..

إلى سيدة تصطنع الهدوء

١

خذي وقتك ، يا سيدتي العزيزة
فلا أحدَ يرغمك على الإدلاء باعترافاتٍ كاذبةٍ
ولا أحدَ يريدُ منك أن تفعلي الحب ..
تحت تأثير الخمرة .. أو المخدر ..
كما لو كنتِ تخلعين أحدَ أضراسك ..
لست مضطرةً للتبرع بنصفِ فمك ..
أو نصف يدك ..
فلا الشفاهُ قابلةٌ للقسمه ..
ولا الأشواقُ قابلةٌ للقسمه ..
ولا الأنوثةُ قابلةٌ للقسمه ..
هذا هو الموقفُ يا سيدتي ..
فلا تخاطبيني وأنتِ مضطجعةٌ على سريرك الملكي
فأخِرُ اهتماماتي .. سندُ خاصرة الملكات ..

وقراءة شعري ..
في مجالس الملكات ..

٢

خذي الوقت الذي تستغرقه اللؤلؤة لتتشكل .
والسنونوة لتصنع بجناحيها صيفاً ..
خذي الوقت الذي تستغرقه الدمعة ..
لتصبح كتاب شعر ..
خذي الوقت الذي يستغرقه النهْدُ ..
ليصبح حصاناً أبيض ..
خذي الأزمنة التي ذهبت ..
والأزمنة التي سوف تأتي ..
فالمسافة طويلة ..
بين آخر النبيذ .. وأول الكتابة
وأنا لست مستعجلاً عليك ..
أو على الشعر ..
فالعيون الجميلة غير قابلة للاغتصاب ..
والكلمات الجميلة غير قابلة للاغتصاب ..
والذين لهم خبرة بشؤون البحر ..
يعرفون أنّ السفن الذكية لا تستعجل الوصول ..
وان السواحل هب شيخوخة المراكب ..

٣

خذي وقتك ..
أيتها السيدة التي تصطنع الهدوء
إنني لا أطلبك بارتجال العواطف ..
فلا أحد يستطيع تفجير ماء الينابيع
ولا أحد يستطيع رشوة البرق والرعد ..
ولا أحد يستطيع إكراه قصيدة
على النوم مع شاعر لا تريده ..

٤

خذي وقتك .. أيتها الهوائية الأطوار ..
يا امرأة التحولات ، والطقس الذي لا يستقر
أيتها المسافرة بين القطب .. وخط الاستواء
بين انفجارات الشعر .. ورماد الكلام اليومي

خذي وقتك ..
خذي وقتك ..
إن نار الحطب لا تزال في أولها ..
ونار القصيدة لا تزال في أولها ..
وأنا لست مستعجلاً على انشقاق البحر ..
وذوبان الثلوج .. على مرتفعات نهديك ..

إنني لا أطالبك بإحراق سفنك ..
والتخلي عن مملكتك .. وحاشيتك .. وامتنيازاتك الطبقية ..
لا أطالبك بأن تركبي معي فرس الجنون ..
فالجنون هو موهبة الفقراء وحدهم ..
وأنت تريدين أن تحتفظي بتاج الملكات ..
لا بتاج الكلمات ..
أنت امرأة العقل الذي يحسب حساباً لكل شيء ..
وأنا رجل الشعر الذي لا يقيم حساباً لأي شيء ..

أيتها السيدة التي

استقالت من أنوثتها ..

١

أيتها السيدة التي استقالت من أنوثتها ..
ومن أمشاطها ، ومكاحلها ، وأساور يديها .
كان الله في عونك ..
أيتها السيدة التي استقالت من رنين البيانو ..
ورنين النبيذ الأحمر .. ورنين شهواتي ..
كان الله في عوني ..
أيتها السيدة التي استقالت من نهديها ..
ووضعتهما كتفاحتين في ثلاجة ..
كان الله في عون المرايا ..

٢

أيتها الرصينة كموظفة في بنك عربي مؤمم ..
إبتسمي قليلاً ..
فمك لا بأس به إذا رششته بماء الفرخ ..
وعيناك لا بأس بهما ..
إذا كحلتهمما بقليل من الحنان ..
إكسري الزجاج الذي يفصل بين صوتي وغاباتك الشاسعة
بين أصابعي .. وأقاليمك الاستوائية ..
بين حصاني . ومزارعك الطازجة العشب ...

٣

أيتها المتنقفة إلى درجة التجلد ..
الأكاديمية إلى درجة القشعريرة ..
أيتها المحاصرة ..
بين جدران الكلمات الماثورة ..
وتعاليم حكماء الهند ..
ولزوميات ما لا يلزم ..
أنت مأخوذة بأبي العناهية
وأنا مأخوذ بالشعراء الصعاليك ..

أنتِ مهتمةٌ بالمعترلة ..
وأنا مهتمٌ بأبي نواسٍ
أنتِ معجبةٌ برقص (البالية)
وأنا معجبٌ برقص الدراويش ..
أنتِ تسكنين مراكبَ الورق ..
وأنا أسكنُ البحرَ ..
أنتِ تسكنين الطمانينه ..
وأنا أسكنُ الإنتحارَ ..

٤

أيتها السيدة المضطجعةُ على رفوف الكتب ..
أيتها الضائعةُ في غبار النصوص ...
إنّ دمي أنقى من حبر مخطوطاتك ...
وقراءة فمي ... أهمّ من جميع قراءاتك ..
فلماذا لا تتتقين على يدي ؟
فأنا الثقافة .. أنا الثقافة .. أن الثقافة ..
أنا الذي أستطيعُ أن أحول نهدك إلى حمامة
وفخذيك إلى سبيكتي ذهب ..
وفمك إلى عشٍ للعصافير ..
أنا الذي أستطيع أن أجعلك ..
ملكةً .. أو جاريه ..
سمكةً .. أو غزاله ..
أو قمرأ في بادية ...

٥

أيتها السيدة المستنكفةُ عن السفر الليلي ..
أيتها الخائفة من رائحة الرجل ..
ورائحة المراكب ..
أيتها السمكةُ التي لا تريد أن تسبح ..
ولا تريد أن تغرق ..
لماذا لا تتلمذين على يدي ؟
إنني أعرف كلَّ شيءٍ عن النساء .. والنباتات المتسلقة ..
والحيوانات الأليفة .. والحيوانات المفترسة ...
لماذا لا تتلمذين على يدي ؟
إنني أعرف كلَّ شيءٍ عن العناصر الأربعة ..

أعرف كلَّ شيء عن كيمياء الأرض ..
وكيمياء الإنسان ..
أعرفُ التفاحةَ كيف تستديرُ ..
وغابات القصب كيف تتشابكُ
والنمرَ كيف يقفزُ ..
ونهدَ المرأةَ كيف يبحث عن فريسته ..

٦

أيتها السيدةُ التي استقالت من كتب الشعر ..
ودخلت في جدول الحساب ..
واستقالت من الورد .. والماء .. والعصافير ..
ودخلت في اليباس ..
لماذا لا تستعلمين أعشابى الطبيعية ؟ ..
لماذا لا تثقين بمعارفى ؟ ..
فأنا المعرفة ..
أنا المعرفة ..

هل ترينَ هذه العروقَ المنفجرةَ على وجه يدي ؟ ..
هل ترينَ هذه الشقوقَ المفتوحةَ على ضفاف فمي ؟
هل تشمينَ رائحةَ الكبريت ..
المتصاعدةَ من شرايىني ؟
هذه هي شهادات همجيتي .. وجنوني ...
وهي كلها من مرتبة الشرف .. كما تلاحظين
فهل ثمة وظيفةٌ شاغرة ؟ ..
لحدائقي .. يطلبُ عملاً في بساتين عينيك ؟ ..

٧

أيتها السيدةُ التي تتعاملُ معي ..
بميزان صيدلي ..
وتلامسُ يدي ، بحياد ممرضة ..
إنني لا أتحمَلُ ثيابك البيضاء ..
وأسنانك البيضاء ..
وابتسامتك البيضاء ..
لا أتحمَلُ كلَّ هذا التنظيم ..
في التعبير عن غرائزي ..

لا أتحمّلُ كلّ هذا المناخَ المعقّمَ ..
والشرّاشفَ المعقّمَ ..
والعواطفَ المعقّمَ ..
لا أتحمّلُ أن أقف ساعاتٍ في طابور الفلاسفة
لأحصلَ منكِ على قبلة ..
كلّ هذه الكتب التي تحيط بك .. أسماكٌ مجلدة ..
كل هذه القوارير الكبيرة والصغيرة لا تُخفضُ حرارتي ..
فارميتها جميعاً .. والتجني إلى أعشاب صدري ..
كخروفٍ أبيض ..

٨

أيتها السيدة القاسيةُ كناظرة مدرسةٍ داخلية ..
إعفيني من إرهابكِ الثقافي ..
إن الطفلَ في داخلي ، يريدُ أن يلعبَ معكِ ..
فلماذا لملتِ كراتكِ وانسحبتِ ؟
قد لا أكونُ عادلاً في لعبتي معكِ ..
ولكنّ أطفالَ العالم كلهم مثلي .. لا يعرفون العدالة ..
قد تكون سمعتي سيئةً في الشارع الذي تسكنينه ..
ولكنني أعدك لو قبلتِ أن تلعبِي معي مرةً ثانية ..
أن أجعلكِ تربحين ..
فاربطي شعركِ بشريطٍ أزرق ..
واضربي الكرة أنتِ ..
إضربي كرتين إذا أنتِ ..
هاجمي أنتِ .. واقتحمي أنتِ ..
واخرقي جسدي أنتِ ..
فليسَ مهماً أن أربحَ أنا ..
وليسَ مهماً ما ستكتبهُ الصحافةُ عني ..
المهم أن تعرفَ الصحافةُ ..
أن الإمبريالية قد تكونُ امرأة

حوار مع امرأة .

على مشارف الأربعين . . .

١

ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك ؟
أيتها السيدة التي بيني وبينها ..
أسرارٌ غيرُ قابلةٍ للنشر ..
وذنوبٌ صغيرةٌ غيرُ قابلةٍ للغفران ..
إنني أفهمُ جيداً خلفياتِ حزنك ..
لكنني لا أستطيعُ أن أمنعَ أيَّ انقلابٍ ينقذه نيسان ..
ضدَّ نهديك المتمسكين بالسلطة ..
إلى يوم القيامة ..

٢

صحيحٌ أن التاريخَ يعيد نفسه ..
ولكنَّ الأنوثةَ – يا سيدتي – لا تعيدُ نفسها أبداً ..
إنها شرارةٌ لا تقبلُ النسخَ والتكرار ..
هذا ما كنتُ أشرحه لك ، وأنتِ في السادسةَ عشرة ..
يومَ كانت الشمسُ لا تغيبُ عن ممتلكاتك ..
وجيوشك تملأ البحرَ والبر ..
وجسدك الياسميني .. يأمرُ .. وينهى ...
ويقولُ للشيء : كن .. فيكونُ

٣

كيف أستطيع أن أساعدك ؟
أيتها المرأةُ التي لم تساعد نفسها ..
ولم تحفظْ خطَّ تراجعها ..
أيتها الطاغيةُ الصغيرة ..
التي سحقتْ كلَّ معارضيها ..
وأعدمتْ كهنتها وعرافيها ..
وأغلقتْ الصحفَ .. وسحقتْ الحرياتْ
ورفعتْ تماثيلها في الساحات العامة ..
ووضعتْ صورها على طوابع البريد ..

هل تتذكرين ؟
كم كنتِ مجنونةً في السادسةَ عشرة
وكيف كنتِ تتحدثين .. كملوك فرنسا ..
عم حقكِ الآلهي الذي لا يناقش ..
في قتل كلِّ رجلٍ ..
يعشقُ امرأةً غيركِ من نساءِ المملكة ..
وقتل كلِّ امرأةٍ ..
تخرجُ مع رجلٍ يعجبكِ من رجالِ المملكة ...

٤

ما الذي أستطيع أن أفعله ؟
لأخففَ عنكِ وجعِ الهزيمة
ومرارةَ السقوط عن العرش ..
أيتها السلطانةُ التي فقدتِ سلطانها
ما الذي أستطيع أن أفعله ؟
لأحرركِ من مركباتِ العظمة الفارغة ..
وأعيدَ إلى عينيكَ السوداوين لونهما الطبيعي ..
وإلى نهديكِ الأحمقين ..
شعبتيها الضائعة !!
ما الذي أستطيع أن أفعل ؟
لأعيدَ جسدكِ حليبياً كما كان
ونهدكِ دائرياً كما كان
وعشقي لكِ .. بدائياً .. همجياً .. إنتحارياً ...
كما كان ...
في سالف الزمان !!

***** النهاية *****

مع تحيات يحيى الصوفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع
القصة السورية
Syrian Story